اجتهادات
الطريقُ المستقيمة

سُئلتُ مراتٍ فى الفترة الأخيرة عما إذا كان ممكنًا للصين أن تصطف مع روسيا وتدعمُها فى حرب أوكرانيا. وأجبتُ بأن هذا احتمالُ بعيد، وربما معدوم. والقصة، هنا، لا تتعلقُ بخوف الصين من عقوباتٍ تُلوحُ بها الولايات المتحدة لأسبابٍ منها إساءة فهم سياسة بكين التى تمضى منذ ثلاثة عقود فى طريقٍ قربَّتها من قمة النظام العالمى. وليس من المعقول أن يتوقف من يسيرُ فى مثل هذه الطريق التى يُحقَّق عبرها أهدافه إلا إذا فقد العقل والاتزان, أو ضاعت منه بوصلته0 الطريقُ المستقيمةُ هى الأقصرُ بين نقطتين. وها هى الصين تقتربُ من النقطة التى تسعى إلى بلوغها، فلِمَ تنحرفُ عنها وتُعطلُ تقدمها فى الاتجاه الذى تمضى فيه؟. وعندما نتابعُ بعض النقاشات الجارية فى الصين, نلاحظُ أن اتجاهًا غالبًا فى حزبها الحاكم يعطى الأولوية لتقليل الخسائر

المترتبة على الحرب، لكى تكون المكاسبُ الناتحةُ منها أكبر ما يمكن. من يبقى بعيدًا عن حربٍ مُكلفةٍ تستنزفُ موارد أطرافها يُعدُ رابحًا. لكن أكثر ما يعنى الصينيين الآن هو إبعادُ خسائر الحرب عن مشروعهم العملاق الذى يغيرُ العالم، وليس النظام العالمى، فقط. التغييرُ يحدثُ فى هذا العصر بواسطة البناء والتنمية، وليس الهدم وتبديد الموارد فى حروبٍ اختياريةٍ الفائزُ فيها خاسر.

ووفقًا لهذا النمط من التفكير العقلانى، يفترضُ أن يركز الصينيون فى تقليل الآثار السلبية للحرب على بعض جوانب مشروع الحزام والطريق, ومنها مثلاً خطوطُ السكك الحديدية التى تربطُ الصين بأوروبا، وتُنقلُ عبرها البضائعُ المُراد وصولها فى وقتٍ أسرع وبطريقة أكثر أمنًا. والمشكلةُ الآن أن معظم خطوط هذه القطارات العابرة للقارات تمرُ فى أراضى روسيا أو بيلاروسيا، الأمر الذى بدأ يؤثرُ فى انتظامها بسبب امتناع شركاتٍ أوروبيةٍ عن استخدامها، إن لم يكن اقتناعًا بالعقوبات الغربية، فمن أجل تجنب عقابٍ قد

تتعرضُ له. والحال أن ما يفعلهُ الصينيون حتى الآن مثالُ «كاشفُ» للفرق بين من يُفكرون بأسلوبٍ يناسبُ هذا العصر، ومن يتصرفون بطرقٍ تعودُ إلى أزمنةٍ مضت. فهل يمضون فى طريقهم, أم يُحبطون من يُحسنون الظن بهم؟